



خطبة صلاة الجمعة 7/10/2022 للشيخ الطبيب محمد خير الشعال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

(هدي رسول الله ﷺ في التعامل مع القرآن الكريم)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفية وخليله، خير نبي اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإيائي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: 7].
وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: 52].

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «كان رسول الله ﷺ إذا خطب يقول: «أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة».

قال النووي في شرح مسلم: (قوله "خير الهدي هدي محمد" جاءت الرواية بوجهين: الأول: بفتح الهاء وإسكان الدال: ومعناه الطريقة، أي أحسن الطرق طريق محمد، والثاني: بضم الهاء وفتح الدال فيهما، ومعناه الدلالة والإرشاد).

فأحسن الهدي هدي محمد، أي أحسن الطريق والهداية والدلالة والإرشاد هدي رسول الله محمد

ﷺ.

أيها الإخوة:

بمناسبة دخول شهر ربيع الأول شهر ولادة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم جاءت سلسلة: (هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم)، لنكثر من الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم ولنهتدي بهديه ونتأسى بسنته فننال الحظوة بشفاعته صلوات ربي وسلامه عليه.

واعلموا أن الكمال البشري معقود في رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن اهتدى بهديه واستن بسنته وحذى حذوه صلى الله عليه وسلم سار في درب الكمال، وعكسه بعكسه
عنوان خطبة اليوم:

هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في التعامل مع القرآن الكريم

أيها الإخوة:

لا يختلف مسلمان في أن القرآن حق، وأنه كان السبب الأول في هداية جيل الصحابة، ونقلهم من براثن الجهل والضياع والتخلف إلى نعيم ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110].
ولا يزال القرآن هو القرآن، فلماذا لا يؤثر في هذه الأجيال تأثيره في ذلك الجيل، لابد أن أمراً خطيراً قد حدث.

إن من أهم الأمور التي حدثت هو اختلاف التعامل مع القرآن الكريم فقد تعلّم الصحابة الكرام من معلمهم الأول محمد صلى الله عليه وسلم كيف يتعاملون مع هذا الكتاب التعامل الصحيح، فسعدوا وأسعدوا.

ولما غيّر الناس التعامل مع كتاب ربهم غيّر الله ما بهم من نعم وخيرات ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: 11].

من هنا ذهب لسنّة النبي صلى الله عليه وسلم لأبحث عن هديه صلى الله عليه وسلم في التعامل مع القرآن الكريم، فوجدت هذه المعالم الستة في تعامله صلى الله عليه وسلم مع القرآن الكريم.

أولاً: الحث على قراءة القرآن الكريم:

كان صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن في الليل والنهار جهراً وسراً في بيته ومسجده امتثالاً لأمر به ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾ [الكهف: 27] ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: 4] ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: 1] وكان يحث المسلمين من ورائه على ذلك، على القراءة الجهرية والقراءة السرية، ويحثهم على القراءة جماعة وفرداً، ويحثهم على القراءة سواء كانت القراءة سهلة أم كانت على

بعضهم شاقة صعبة، ويدفعهم إلى القراءة في بيوتهم والقراءة في مساجدهم، ويحثهم على القراءة بورد يومي أو بورد أسبوعي أو بورد شهري، ويحثهم على القراءة الكثيرة فإن لم يستطع أحدهم فليكتفِ بالقليلة، ويدعوهم إلى قراءة القرآن كله، ويدعوهم إلى قراءة سور مخصوصة أو آيات مخصوصة منه، ويدعوهم إلى القراءة بالليل والقراءة بالنهار، وعلى كل واحد من هذه الكلمات أدلتها الكثيرة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك:

أخرج أبو داود والترمذي والنسائي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**الجاهر بالقرآن كالجهر بالصدقة، والمُسِرُّ بالقرآن كالمُسِرُّ بالصدقة**». إنها قراءة الجهر والسر.

أخرج البخاري ومسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الماهر بالقرآن مع السَّفَرَةِ الكِرَامِ البرِّرة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق، له أجران**» إنها القراءة الصعبة والسهلة. فالحاصل أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحث على قراءة القرآن الكريم ويكون أول العاملين بذلك.

ثانياً: الحث على فهم القرآن الكريم:

نزل القرآن الكريم بلغة العرب، وقد كانوا على درجة عالية من فهم الكلمة العربية وتذوقها، ومع هذا فقد كان صلى الله عليه وسلم يفسر لهم بعض آيات القرآن ليطمئن على فهمهم لها وتمكنهم من معناها.

فمن ذلك حديث الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً، نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ، زِيدَ فِيهَا، حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبُهُ، وَهُوَ الرَّأُّ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾**». وأخرجنا عن البراء بن عازب رضي الله عنهما: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**المسلم إذا سُئِلَ في القبر: يشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسولُ الله، فذلك قوله: ﴿يُثْبِتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾**».

فقد كان صلى الله عليه وسلم حريصاً على فهم الصحابة الكرام كتاب الله؛ لأن الفهم مفتاح العمل.

ثالثاً: الحث على العمل بالقرآن:

إنَّ الغاية الأسمى من القرآن الكريم أن يعمل به تاليه ليسعد به في الدارين، ومن هنا كان صلى الله عليه وسلم يدعو أصحابه للعمل بالقرآن الكريم قولاً وفعلاً.

أما القول: فأحاديثه كثيرة منها: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من قرأ القرآن وعمل به، ألبس والداه تاجاً يوم القيامة، ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم، فما ظنكم بالذي عمل بهذا؟**» [أبو داود].

وأما الفعل: فحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها كانت تطبيقاً لآيات القرآن، وقد كان صلى الله عليه وسلم قرآناً يتحرك وآيات تتكلم.

أخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها: قالت: «ما صَلَّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صلاة، بعدَ إذْ أنزِلَتْ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ إلا قال: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي» يتأول القرآن.

وأخرج الإمام مسلم: (سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خُلُق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت للسائل: ألسنتَ تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قالت: فإن خُلُقَ نبيِّ الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن).

وقد أخرجت توجيهاته صلى الله عليه وسلم جيلاً من الصحابة يتمثلون القرآن يعملون بما فيه امتثالاً في الأمر واجتناباً في النهي، والقصص والوقائع في هذا كثيرة منها ما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: «يَرْحُمُ اللَّهُ نِسَاءَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأَوَّلِ، لَمَّا أُنْزِلَ ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾، شَقَقْنَ مُرُوطَهُنَّ - أي أكسيتهن - فَاخْتَمَرْنَ بِهَا» [البخاري].

ومنها ما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه في خبر تحريم الخمر، قال أنس: (إني لقائم أسقيها أبا طلحة وأبا أيوب ورجالاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتنا، إذ جاء رجل، فقال: هل بلغكم الخبر؟ قالوا: لا، قال فإنَّ الخمر قد حُرِّمت، فقال أبو طلحة يا أنس، أرق هذه القلال، قال: فما راجعوها ولا سألوا عنها بعد خبر الرجل).

فالحاصل أن هدي النبي صلى الله عليه وسلم مع القرآن الكريم العمل بما فيه.

رابعاً: الحث على حفظ القرآن في الصدور والسطور:

فقد حفظ القرآن الكريم من الصحابة عشرات، واتخذ النبي صلى الله عليه وسلم كتابة للوحي يكتبون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينزل عليه ولم يغادر صلى الله عليه وسلم الدنيا إلا

والقرآن مكتوب كله محفوظ كله، وكان الكتبة أكثر من عشرين كاتباً منهم الخلفاء الأربعة وزيد بن ثابت وأبي بن كعب والزبير بن العوام وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم أجمعين. حفظ القرآن مكرمة وحفظ أجزاء منه منقبة.

خامساً: الحث على تبليغ القرآن وتعليمه الآخرين:

عنوان رسالة الإسلام ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: 67]، ومن هنا «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه بالموقف، فيقول: «ألا رجل يحملني إلى قومه؟ فإن قريشاً منعوني أن أُبلِّغَ كلام ربِّي» [أبو داود].

وكان صلى الله عليه وسلم يقول للمسلمين من بعده «بلغوا عني ولو آية» [البخاري] ويقول: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» [البخاري].

وبعث صلى الله عليه وسلم أصحابه معلمين، فبعث مصعب بن عمير وأبن أم مكتوم إلى المدينة، ومعاذ بن جبل إلى اليمن، وعمر بن حزم الخزرجي إلى نجران، وانطلق أصحابه من بعده في الأرض مبليغي القرآن معلمين شعائر الدين فجاء أبو الدرداء إلى دمشق وكان يعلم القرآن في جامع دمشق من طلوع الشمس إلى الظهر، ويقسم المتعلمين عشرة عشرة، ويعين لكل عشرة عريفا يعلمهم القرآن، وهو يشرف على الجميع، ويرجعون إليه إذا غلطوا في شيء، كما أفاده الذهبي في معرفة القراء الكبار، وكان هذا التعليم مجانياً، ولعل مدرسة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي المدرسة الأولى التي رفعت شعار مجانية التعليم وطبقته.

سادساً: الحث على التأدب مع القرآن الكريم:

فالأدب سمة هذا الدين، ولهذا كان من الطبيعي أن يحث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأدب مع القرآن بالأدب لا يمسه إلا طاهر وأن يكرمه حامله وأن يبدأ قارئه بالاستعاذة وأن ينصت المرء إن سمع كتاب الله يتلى وأن تحترم المصاحف والأوراق التي تكتب عليها الآيات ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: 32].

وبعد أيها الإخوة:

هذه ستة معالم في هدي النبي صلى الله عليه وسلم في التعامل مع القرآن الكريم:

- 2- الحث على فهم القرآن الكريم.
 - 3- الحث على العمل بما في القرآن الكريم.
 - 4- الحث على تبليغ القرآن الكريم وتعليمه الآخرين.
 - 5- الحث على حفظ القرآن الكريم في الصدور والسطور.
 - 6- الحث على التأدب مع القرآن الكريم.
- ونحن اليوم في ذكرى المولد أحوج ما نكون للعمل بما في هذه التوجيهات النبوية الكريمة؛ لنسمو بالقرآن والسنة كما سما بها أوائلنا.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56].

والحمد لله رب العالمين